

الأفعال الكلامية التعبيرية الاجتماعية في القصص القرآني

دلخوش جارالله حسين دزه يي

قسم اللغة العربية، كلية اللغات

جامعة صلاح الدين-اربييل

dr.dilkhosh@yahoo.com

المستخلص

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التداولي انطلاقاً من أسس نظرية الأفعال الكلامية، بوصفه مستوى تصنيفياً إجرائياً في الدراسات اللغوية يتجاوز دراسة المستوى الدلالي، ويبحث في علاقة العلامات اللغوية بمؤولياها ، ويُعنى بدراسة مقاصد المتكلم، وكيف يستطيع المتكلم أن يبلغها في مستوى يتجاوز دلالة القوة الإنجازية الحرفية، كما يُعنى المنهج التداولي بكيفية توظيف المتكلم للأفعال الكلامية المختلفة في سياق معين، حتى يجعل إنجازها موائماً لذلك السياق، وذلك بربط إنجازها الكلامي بعناصر السياق الذي حدث فيه، وبهذا يربط بين المكونات الذاتية ، مثل: مقاصد المتكلم ومعتقداته واهتماماته ورغباته، والمكونات الموضوعية؛ أي: الوقائع الخارجية، مثل: زمن القول ومكانه ، وكذلك العلاقة بين طرفي الخطاب ، وتسهم هذه العناصر في تحديد الحمولة الدلالية للقوة الإنجازية عند المتلقي، إذ يعتمد عليها في تأويل الفعل الكلامي وفهم مقاصده؛ ولأن لغة القرآن هي مكنن الإبداع ومظهره ، وأن خطابه متكامل ، وإدراكاً لهذه الحقيقة ومن منطلق الانبهار بهذا الخطاب الإلهي وبعظمة القصص القرآني الذي له مكانة ملحوظة من القرآن الكريم ، وما يتخلله من مواقف نفسية وشعورية واجتماعية تجعل المتلقي يعيشه بإحساسه ووجدانه ويتأثر به وينتفع بما فيه من عبر وعظات، ولتوجيه خطاباته بأسلوب فني معجز ولغة أسرة موقظة للفكر والوجدان، وفي هدي الدلالة المباشرة والدلالة غير المباشرة، ونظراً لما تتمتع به الأفعال الكلامية والبنية القضية عموماً ، والأفعال التعبيرية الاجتماعية خصوصاً من ثنائيتي إقناع العقل وإمتاع العاطفة وإثارتها، انبثقت فكرة الدراسة التي عُنوانت ب (الأفعال الكلامية التعبيرية الاجتماعية في القصص القرآني)، وموضوعها الذي اتخذ من المعطيات التداولية أساساً وقاعدة ينطلق منها لرصد الأفعال التعبيرية الاجتماعية وما لها من قوة إنجازية و وظائف تأثيرية وانفعالية تغدق على المتلقي من فيوض مقاصدها الدلالية، والغاية المنشودة من الدراسة هي استنطاق خطاب القصص

القرآني تداولياً، لمعرفة آليات الأفعال التعبيرية الاجتماعية والأدوات اللغوية، لتنفيذ منها إلى المقاصد المتوخاة، ابتغاء الوقوف على قواها الإنجازية وأثرها في النفس، لخدمة الأهداف والمقاصد الدينية والتشريعية.

الكلمات المرشدة: التداولية، الأفعال الكلامية التعبيرية، الأفعال الكلامية التعبيرية الاجتماعية المباشرة وغير المباشرة، المقصدية، القوة الإنجازية، الفعل الكلامي، الفعل القضيوي.

المقدمة

لقد هيمنت دراسة اللغة بقضاياها المختلفة على الفكر الإنساني منذ بواكيرها الأولى، كونها الطريقة المثلى والأكثر إفصاحاً والأرقى درجة في تشكيل أي حدث تخاطبي قادر على إنجاز الفعل يتسم بكفاءة التواصل المطلوب، فقد يدخل السياق عاملاً حاسماً في ترسيم الأبعاد التي لا بد من تفاعلها في كنف عملية الفهم والإفهام، وتلعب فيه استراتيجية المؤول ومن يخاطبهم دوراً في تحقيق هدف الحدث الكلامي الكامل.

وقد تمخض عن هذا التوجه المهم فرع جديد من اللسانيات الحديثة انصبَّ اهتمامه في مستوى ما فوق الجملة الذي يتمثل في الجانب التداولي Pragmatics، وتعدّ التداولية من الاتجاهات اللسانية الحديثة التي غدت في سعيها إلى سبر الذات معرفة عميقة تتغلغل في مكونات الكائن الإنساني في علاقته مع الأحداث والعالم واللغة التي تمثل آلية التواصل؛ بل راحت تطرح الأسئلة المتصلة بالواقع والوجود والمتخاطبين من خلال طبيعة العلاقة القائمة بين الشكل والدلالة والسياق، مع التمييز بين القدرتين الإنجازية والتأويلية، ومحاولة التعرف على سبل الوصول إلى مقاصد المتخاطبين في ضوء ظروف التخاطب المتغيرة، وفي مساق ذلك قامت نظرية الأفعال الكلامية Theory of Speech Acts لأوستن Austin، التي تتضمن أصنافاً مختلفة من الأفعال الكلامية، وتعد الأفعال التعبيرية بضربها النفسية والاجتماعية صنفاً منها.

ولأن لغة القرآن هي مكن الإبداع ومظهره، وأن خطابه متكامل، وإدراكاً لهذه الحقيقة ومن منطلق الانبهار بهذا الخطاب الإلهي وبعظمة القصص القرآني الذي له مكانة ملحوظة من القرآن الكريم، وما يتخلله من مواقف نفسية وشعورية واجتماعية تجعل المتلقي يعيشه بإحساسه ووجدانه ويتأثر به وينتفع بما فيه من عبر وعظات، ولتوجيه خطاباته بأسلوب فني معجز ولغة أسرة موقظة للفكر والوجدان، وفي هدي الدلالة المباشرة والدلالة غير المباشرة، ونظراً لما تتمتع به الأفعال الكلامية والبنية القضيوية عموماً، والأفعال التعبيرية الاجتماعية خصوصاً من ثنائيتي إقناع العقل وإمتاع العاطفة وإثارتها، انبثقت فكرة الدراسة التي عُنوانت بـ (الأفعال الكلامية التعبيرية الاجتماعية في القصص القرآني)، وموضوعها الذي اتخذ من المعطيات التداولية أساساً وقاعدة ينطلق منها لرصد الأفعال التعبيرية

الاجتماعية وما لها من قوة إنجازية و وظائف تأثيرية وانفعالية تغدق على المتلقي من فيوض مقاصدها الدلالية، والغاية المنشودة من الدراسة هي استتطاق خطاب القصص القرآني تداولياً، لمعرفة آليات الأفعال التعبيرية الاجتماعية والأدوات اللغوية، لتنفيذ منها إلى المقاصد المتوخاة، ابتغاء الوقوف على قواها الإنجازية وأثرها في النفس، لخدمة الأهداف والمقاصد الدينية والتشريعية.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج التداولي انطلاقاً من أسس نظرية الأفعال الكلامية، بوصفه مستوى تصنيفياً إجرائياً في الدراسات اللغوية يتجاوز دراسة المستوى الدلالي، ويبحث في علاقة العلامات اللغوية بمؤوليتها ، ويُعنى بدراسة مقاصد المتكلم، وكيف يستطيع المتكلم أن يبلّغها في مستوى يتجاوز مستوى دلالة القوة الإنجازية الحرفية، كما يُعنى المنهج التداولي بكيفية توظيف المتكلم للأفعال الكلامية المختلفة في سياق معين، حتى يجعل إنجازها موائماً لذلك السياق، وذلك بربط إنجازها الكلامي بعناصر السياق الذي حدث فيه، وبهذا يربط بين المكونات الذاتية ، مثل: مقاصد المتكلم ومعتقداته واهتماماته ورغباته، والمكونات الموضوعية؛ أي: الوقائع الخارجية، مثل: زمن القول ومكانه ، وكذلك العلاقة بين طرفي الخطاب ، وتسهم هذه العناصر في تحديد الحمولة الدلالية للقوة الإنجازية عند المتلقي، إذ يعتمد عليها في تأويل الفعل الكلامي وفهم مقاصده.

الأفعال الكلامية التعبيرية Expressive speech Acts

هي صنف من الأفعال الكلامية، وقوامها إرادة المتكلم التعبير والتنفيس عن مشاعره feelings، ومواقفه attitudes، ومكوناته السايكولوجية تعبيراً مخلصاً وصادقاً، وسمى أوستن هذه الأفعال بـ(السلوكيات/ Behabitives) ويقصد بها ((ردود الأفعال على سلوك الآخرين وعلى ما لاقوه من نجاح، أو فشل في مزاولتهم لذلك النشاط، أو ذاك السلوك، كما تتضمن أيضاً المواقف وضروب التعبير عن أوضاع السلوك الماضية مما قام به الآخرون، أو ما يحتمل أن يقع من تصرفاتهم))⁽¹⁾، وسماها سيرل بـ(التعبيريات/ Expressives)⁽²⁾؛ لكونها تعبر عن المشاعر والانفعالات النفسية، في حين أن بعض الباحثين العرب أطلقوا عليها مصطلح (البوحيات)⁽³⁾؛ لبوحها بالحالات النفسية والاجتماعية.

(1) نظرية أفعال الكلام العامة: 196، وينظر: المحاوره مقاربه تداوليه: 48.

(2)Speech Acts, p79.

وينظر: ومبادئ ومسارات في درس اللغوي: 228، وتداوليات الخطاب السياسي: 73.

(3) نظرية الأفعال الكلامية: 32.

وقد حدد سيرل اتجاه هذه الأفعال التعبيرية نحو العالم بـ((الاتجاه الفارغ))⁽⁴⁾؛ لأنها لا تغيّر العالم الخارجي كأصناف الأفعال الكلامية الأخرى⁽⁵⁾، ويبدو من هذه الأفعال أنها تتأثر بالعالم الخارجي، ويفترض حصول المطابقة سلفاً بين محتواها القضيوي والواقع الخارجي المتمثل بالموقف المؤثر في المتكلم المعبر عن هذه الحالة النفسية أو الاجتماعية، وهذا ما دفع بسيرل إلى أن يحدد المطابقة بين التعبيرات والعالم الخارجي بأنها مطابقة فارغة، أي: معدومة؛ إذ إن المحتوى القضيوي لهذه الأفعال من الناحية النمطية ليس له اتجاه مطابقة؛ لإسناد المحتوى خاصية نفسية واجتماعية إلى المتكلم، أو المتلقي⁽⁶⁾.

والأفعال التعبيرية هي معيار للانفعالات النفسية الشعورية التي يستطيع الفرد بفضلها أن يعبر عن كل حالة نفسية بلفظ معين يدل عليها؛ لأن ((الحالات النفسية... ليس غير تلك الأقوال والأفعال، أو أن بين الحالات النفسية والسلوك علاقة ضرورية، وليست علاقة حادثة عارضة))⁽⁷⁾. إذن لا سبيل في الكشف عن حالتنا وعملياتنا الباطنية إلا إذا اعتمدنا على أقوالنا وأفعالنا، فهي معيار وجود تلك الحالات والعمليات.

ويستهدف المتكلم من إنجاز الأفعال التعبيرية عموماً ((التعبير عن الحالة النفسية التي يخصصها شرط النزاهة بالنسبة إلى حالة الأشياء التي يخصصها المحتوى القضيوي))⁽⁸⁾، وتخالف بهذا الشرط الجوهرية الأفعال التعبيرية الأفعال الكلامية الأخرى التي تلقى إلى المخاطب بغية كسب المصلحة والنية أو تحقيق غرض ما، ولاتعبر عن الحالة النفسية أو الاجتماعية الصادقة والنزيهة؛ بل تعبير عن ذلك المحتوى القضيوي لذلك الكلام المؤدى بأسلوب تعبيريّ يشبه التعبيرات النفسية أو الاجتماعية الحقيقية، وقد قسمت الأفعال التعبيرية على نمطين مترابطين أساسين وهما:

أولاً- الأفعال الكلامية التعبيرية النفسية.

ثانياً. الأفعال الكلامية التعبيرية الاجتماعية.

⁽⁴⁾Foundations of Illocutionary Logic , p54.

⁽⁵⁾ ينظر : اللغة والفعل الكلامي والاتصال: 98.

⁽⁶⁾ ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان: 48

⁽⁷⁾ في النفس والجسد بحث في فلسفة المعاصرة: 157

⁽⁸⁾ القاموس الموسوعي للتداولية: 76.

الأفعال الكلامية التعبيرية الاجتماعية : وهي تصنف إلى صنفين هما:

أولاً / الأفعال الكلامية التعبيرية الاجتماعية المباشرة.

ثانياً / الأفعال الكلامية التعبيرية الاجتماعية غير المباشرة.

وسأخصّ البحث بالأفعال الكلامية التعبيرية الاجتماعية المباشرة لضيق مجال البحث وكثرة الأفعال الاجتماعية غير المباشرة في القصص القرآني.

الأفعال الكلامية التعبيرية الاجتماعية المباشرة

هي التي تتمثل في الأفعال الاجتماعية المقرونة بالانفعالات النفسية التي تتخذ وجودها بالفعل الإنجازي المتضمن لها؛ لأن إيجاد هذا الفعل الاجتماعي النفسي مشروط بدلالته القضية المتضمنة فيه، ويكون اتجاهها نحو المخاطب بالضرورة لتحقيق عملية التواصل الاجتماعي⁽¹⁾، ويدرك المخاطب مضمون هذا الفعل النفسي الاجتماعي كما في حالات الشكر، والترحيب، والاعتذار، والتهنئة، والتعزية، والمواساة... إلخ، التي تؤثر في العالم تأثيراً سلوكياً لياقياً يخضع لمعايير حسن الأدب أو سوءه لاحتواء هذه الأفعال على فكرة رد الفعل أو الاستجابة لسلوك الآخرين وحفظهم وتصرفاتهم في المواقف المتباينة مع المتكلم، والتعبير عن هذه المواقف نتيجة ممارسات سابقة أو حالية للمخاطبين⁽²⁾، وهذه التعبيرات تتفاعل مع الموقف لتقرر صداها عند المخاطب⁽³⁾، وقد جعل (ستيفن أولمان) التعبير والتوصيل والتأثير ثلاث وظائف جوهرية في السلوك الكلامي⁽⁴⁾.

ويجسد الفعل التعبيري الاجتماعي كونه فعلاً استدعائياً المظاهر الانفعالية النفسية في المتكلم وبالتالي التأثير في المستدعي المتلقي، وتنجم عن هذه الأفعال الوظيفة الانفعالية المحولة إلى الوظيفة التأثيرية عند المتلقي، وفيها ((تقوم اللغة بدور التواصل بين أفراد المجتمعات البشرية، لإقامة العلاقات الاجتماعية وتشبيتها، ك: ((الشكر، والتحية، والمجاملة))⁽⁵⁾، وذلك يدل على وظيفة اجتماعية ذات بعد نفعي، وإن دخل ضمنه ما هو انفعالي يعبر عن العواطف والمشاعر، وتتجلى هذه التعبيرات الاجتماعية في القصص القرآني في المحاور الآتية:

(1) ينظر: نظرية الأفعال الكلامية: 156، 164.

(2) ينظر: علم الدلالة السلوكي: 72.

(3) ينظر: نظرية أفعال الكلمة العامة: 104-105.

(4) ينظر: دور الكلمة في اللغة: 103.

(5) الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي: 191.

- الحمد

فعل تعبيرى اجتماعى تستدعيه الانفعالات النفسية التي يتخذها المتكلم الحامد في موقف ثناء على المحمود على وجه التعظيم، والحمد هو ((الشكر خالصاً لله جل ثناؤه دون سائر ما يُعبد من دونه، ودون كلِّ ما برأ من خلقه بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد...))⁽⁶⁾، ثم إن الحامدين هم المؤمنون والمسلمون مقابل المحمود (الله) عز وجل.

إذ الحمد هو ((المدح، والوصف بالجميل))⁽⁷⁾، بيد أن الفرق بين الحمد والمدح، هو ((أن الحمد لا يستحق إلا على فعلٍ حسن، والمدح قد يكون على فعلٍ وغير فعلٍ، فكلُّ حمد مدحٌ وليس كل مدحٍ حمداً، ولهذا جاز أن يمدح الله تعالى على صفته، بأنه عالم قادر، ولم يجز أن يحمد به، لأنَّ العلم والقدرة من صفات ذاته، لا من صفات أفعاله))⁽⁸⁾.

فضل الحمد كفضل الرحمة على الغضب؛ لأنه فعل تعبيرى يصدر عن الارتياح وهزة الشوق والمحبة؛ إذ إن الحمد شطر الإيمان العملي، وهو أول الصراط المستقيم⁽⁹⁾، وينجزه المتكلم (الحامد) على ثناء المنعم بسبب كونه منعماً، سواء كان أنجزه بفعل القول بأن يثنى عليه، أو أنجزه بسلوك عملي بأن يجهد نفسه في طاعته، كما يفهم ذلك في قصة إبراهيم (عليه السلام) في قوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۖ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ⁽¹⁰⁾.

فهبة الذرية على الكبر أوقعت في نفس إبراهيم (عليه السلام) تأثيراً، فأنجز فعله القولي (الحمد لله) إخلاصاً لله وثناءً عليه، لنعمه الواصلة إليه في استجابة الله لطلبه الذرية الصالحة، بقوله: رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ⁽¹¹⁾، فشكره ما أكرمه به من إجابته، والفعل القضوي الإنجازي (الحمد لله) تتجسد حمولته الدلالية في قوة إنجازية حرفية تتمثل في الفعل التعبيري الاجتماعي (الحمد)، وهذا الفعل يكشف عن نفسية إبراهيم الحامدة لربه، المعترفة بفضل الله عليها.

⁽⁶⁾ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 59/1/1.

⁽⁷⁾ التحرير والتنوير: 155/1/1.

⁽⁸⁾ النكت والعيون: 54/1.

⁽⁹⁾ ينظر: جواهر القرآن ودرره: 39.

⁽¹⁰⁾ إبراهيم: 39.

⁽¹¹⁾ الصافات: 100.

فلنمس أن إبراهيم عليه السلام قد أنجز حمده لله، وامتنانه له بهيئة الفعل القضوي الإخباري المباشر (الحمد لله) التي تتفرد بجمالية خاصة؛ لما تملكه من خصوصيات تعبيرية بارعة تقتنص دقائق الشعور وتستجلي مكوناته بإحياءات متعددة تتسجم مع جلاله المحمود، من الدلالة على الدوام والثبات والاستغراق، والاختصاص، والاهتمام⁽¹²⁾؛ إذ لا يمكن حصول هذه الحملات الدلالية بصيغة توجيهية أو فعلية أخرى، نحو حمداً لله أو أحمد الله حمداً، ويتجلى ذلك كله فيما يأتي :

✓ لو أنجز فعله القولي بتشكيله (أحمد الله) أفاد ذلك كون ذلك القائل قادراً على حمده؛ أمّا لما أنجز (الحمد لله) فقد أفاد ذلك أنه كان محموداً قبل حمد الحامدين، وقبل شكر الشاكرين، فالله سبحانه وتعالى - سواء حمدوا، أو لم يحمدوا، وسواء شكروا أو لم يشكروا - محمود من الأزل إلى الأبد.

✓ إنَّ البنية القضوية (الحمد لله) تفيد أن الحمد لله والثناء حق لله وملكه، فإنه تعالى هو المستحق للحمد بسبب كثرة نعمه، وأنواع آلائه على العباد، أي: أن الحمد لله حق يستحقه لذاته، ولو أنجزه بتشكيله (أحمد الله) لم يدل ذلك كونه مستحقاً للحمد لذاته.

✓ إنَّ إنجاز الفعل القولي (أحمد الله، أو نحمد الله) يقصد أن الحمد مختص بفاعل معين هو المتكلم، أو المتكلمون، في حين أنَّ البنية القضوية (الحمد لله) تدل على صيغة مطلقة لا تختص بفاعل معين ولا زمن معين، فصيغة (أحمد أو نحمد) تدل على أن الحمد مختص بزمن الحاضر أو المستقبل؛ لأن فعل المضارع يدل عليهما، وهذا يقصد به أن زمن الحمد محدود بعمر الإنسان، وحمد الله غير محدود ولا هو بالمنقطع؛ لذلك أنجز بتشكيله الفعل القضوي الإخباري (الحمد لله) ⁽¹³⁾.

فضلاً عن ذلك تشكيلة البنية القضوية (الحمد لله) تسلك انزياحاً موضعياً من خلال تقديم لفظ (الحمد لله) الذي يصبح محطة العناية، ويقف وراء ذلك المقصد التداولي وهو إقرارٌ باستعظام النعمة وإجلالها، وإظهارٌ لما فيها من آلائه⁽¹⁴⁾.

ففي تعبيره النفسي الاجتماعي (الحمد لله) بيّن إبراهيم حالته النفسية في مقابل النعم التي منحها الله إياه، وهذه النعم تستدعي الاستجابة والرد بالحمد والشكر، الذي بدوره أنتج هذا الفعل الإنجازي الذي حقق التواصل الرباني بين إبراهيم عليه السلام وإلهه، فكلما ازدادت نعمة الله عليه، ازدادت طاعته لله واجتهد في شكره هذه النعمة حتى لا تزول

⁽¹²⁾ ينظر: التحرير والتنوير: 162/1/1.

⁽¹³⁾ ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: 11-13، وتقابلات النص وبلاغة الخطاب: 19.

⁽¹⁴⁾ ينظر: التفسير الكبير: 179/1.

وتدوم، فأثنى الله تعالى عليه، ووصفه ببعض خواص خلقه فقال: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ • شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (15)، وعليه، فإن الفعل التأثيري لهذا الفعل الإنجازي يتمثل في استجابة الله تعالى لأهل الشكر بقوله: بَعِمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا ۚ كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (16)، فالله يعد المؤمنين الشاكرين بالجزاء والثواب، ووعد الله لا بد من أن يتحقق إذا لم يكن في الدنيا ففي الآخرة.

وكذلك نستشف الفعل التعبيري الاجتماعي (الحمد) على لسان داود وسليمان عليهما السلام؛ لما أنعم الله عليهما، ومنحهما العلم النافع، فقد أعطى كلا منهما علماً غزيراً: علماً بالدين وبالشرائع والأحكام، وعلم القضاء والفهم فيه، ومنحهما ربهما النبوة والزيور، كما أتاهما الخلافة في الأرض، بقوله العزيز: وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (17).

فأنجزا داود وسليمان عليهما السلام الفعل التعبيري الاجتماعي (الحمد لله) ولم يغترا بعلمهما، فكان هذا تواضعاً منهما لله خالقهما، وهو الذي قدرهما على حمدهما له، فكان هذا التواضع وعدم الاعتزاز بالعلم هو التفضل الإلهي عليهما المتمثل بقوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ)، وهذا اعتراف منهما أن هناك من هو أفضل منهما، فالآية تدل على أنهما فضلاً على كثير (18).

والفعل الإخباري (الحمد لله) متضمن فعلاً قضوياً إنجازياً يحمل قضية دلالية يتجلى في دلالاته التعبيرية النفسية فحوى إنجازي توجيهي، وتكمن قوته الإنجازية الحرفية في حمدهما لله، والامتتان لربهما على ما أسدى لهما من النعم والإيمان، وهو مفتاح الهداية وخطوة البداية لمن أراد أن يذكر، أو أراد شكوراً.

والفعل الإنجازي (الحمد لله) هو بمثابة نتيجة تربطها بحجتها علاقة سببية (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا)، وقد ربط بين الحجة والنتيجة بآلية الرابط الحاجبي (الواو)، للإشعار بأن الحمد الذي أنجزا بفعلهما القول كان سببه العلم الذي أوتياه، والقيمة التداولية لهذه العلاقة السببية من أقدر العلاقات الحاجبية على التأثير في المتلقي، وهي

(15) النحل:120-121.

(16) القمر:35.

(17) النمل:15.

(18) ينظر: إرشاد العقل السليم: 276/6.

علاقة فلسفية وطبيعية في الوقت نفسه⁽¹⁹⁾؛ لأن قاعدتها، أو خلفيتها المؤسسة لطاقتها الحجاجية مستمدة من عالم المنطق وآليته⁽²⁰⁾.

ونرى أن إنجاز الفعل التعبيري الاجتماعي لامتناهين نعم الله تعالى بقولهما (الحمد لله) اشتمل على الشكر أيضاً، ولكنه اكتفى بذكر (الحمد لله)؛ لأنه أوقع تأثيراً في النفس، فهو صفة نفسية قلبية عقلية نابغة من قرارة النفس ومن القلب، تجعل الحامد أكثر تجرداً من الأنانية وحب الذات، وتعريفه بـ(ال) الاستغراقية ليشمل كل حمد، ووقوعه مبتدأ في التركيب الاسمي لإفادة الديمومة، والاستمرار⁽²¹⁾.

ونلمح في تصدير خطاب الآية بقوله تعالى (ولقد آتينا) باللام الموطئة للقسم، ونون التعظيم في (آتينا) دلالة على عظمة المعطي المتفضل سبحانه وتعالى، وهذا يدل على أن الله تعالى أعطى داود وسليمان عليهما السلام علماً عظيماً وكثيراً، ومما يعضد ذلك تنكير لفظ العلم فقال (علما) فإن من شأن التنكير التعظيم؛ لأنه علم نبوءة وحكمة، مما يوحى برفيع مكانتهما عليهما السلام، وما لهما من قدر عظيم عند ربهما، وما تكفله لهما بكمال العناية والنصرة، بيد أن السياق خلص تنكير العلم، للدلالة على أن النكرة تدل على أن ما يؤتاه المخلوق كالإنسان من علم، إنما هو قليل جداً إذا قورن بعلم الله، مصداقاً لقوله تعالى (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً)⁽²²⁾، ولذلك حتى لا يغتر أي مخلوق إنساناً كان أم جنياً بعلمه فيكفر، وما كان كفر إبليس إلا كفر علم، جحد وغرور بحق الله في الطاعة على الرغم مما آتاه الله من علم⁽²³⁾.

ونرى شكرهما لله، ومحمدهما على النعمة يدل على تلك القوة التأثيرية المحمولة في هذا الفعل الإنجازي، وأيضاً إشارة بشكل غير مباشر إلى أن الإنسان يجب أن يقتدي بهما، وأن يتوجه بالحمد والشكر إلى ربه على ما أنعم عليه وأولاه، وماخصه من خصائص امتاز بها على غيره من المخلوقات، وصاحب الفطرة السليمة يقدر هذه النعم قدرها، ويعرف أنه يجب أن تحاط بسياج من الشكر حتى يدوم التواصل مع ربه، كما قال الله تعالى: (إن شكرتم لأزيدنكم)⁽²⁴⁾، وعد الله تعالى الشاكرين بالزيادة؛ لأن شكر كل نعمة يستدعي المزيد، ولهذا كان الفعل التأثيري الذي خلفه الفعل الإنجازي (الحمد لله) كان تأثيراً إيجابياً؛ لأن داود وسليمان عليهما السلام، من خير خلق الله الذين منحهم

⁽¹⁹⁾ ينظر: عندما نتواصل نغير: 151.

⁽²⁰⁾ ينظر: الحجاج في الشعر العربي: 327.

⁽²¹⁾ ينظر: الإعجاز القرآني البياني: 298.

⁽²²⁾ الإسراء: 85.

⁽²³⁾ ينظر: الإعجاز القرآني البياني: 297.

⁽²⁴⁾ إبراهيم: 7.

الله العلم، وما دام عليهما السلام، من أهل العلم، فهما يخافان من ربهما ويعرفانه، وصدق الله العظيم إذ يقول: (إنما يخشى من عباده العلماء) (25).

وعليه، فإن هذا الفعل الإنجازي أدى التواصل الاجتماعي بشكل غير مباشر، من حيث تأثيره في الناس المحيطين بالنبي داود وسليمان عليهما السلام، ليسيروا على نهجهما، بأن يشكروا ويعملوا بما يرضي الله بعد أن أنعم عليهم بنعمه الربانية، فسيعيشون آنذاك في أمان وسلام في الدنيا والآخرة، وإن امتنعوا عن الشكر فلا بد من أن يصيبهم ما أصاب الأمم السابقة التي تنكبت صراط الله المستقيم، ولم تنقد لشرع الله، فتحكيم شرع الله هو عنوان الخضوع لله، وأوامره عنوان الرضى عن الله، وفي الوقت نفسه كان تعبيراً عن تلك الحالة النفسية الاجتماعية تجاه ربهما الذي أدام بهذا الحمد التواصل الرباني وزيادة النعمة عليهما.

- الشكر

يعد من الأفعال التعبيرية الاجتماعية ينجزه المتكلم لامتنان المتلقي مقابل النعمة، وهو ((تصور النعمة وإظهارها... ويضادُهُ الكُفْر وهو نسيانُ النعمة وسنْرها)) (26)؛ أما الشكر في القرآن الكريم فليس مجرد فعل القول؛ بل هو عبادة الله تعالى ثناءً عليه وامتناناً لفضله العظيم، بدليل قوله تعالى: فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (27)، وإنجاز فعل الشكر إنجازاً صحيحاً ينبغي أن يكون فعل القول مصاحباً لفعل العمل، وليس قولاً مجرداً عن العمل، وفي تقديم العمل في الآية الآتية دليل على ما نذهب إليه، كما في قوله تعالى: يَعْْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ۗ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۗ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورِ (28).

والفعل التعبيري (الشكر) يفرق عن الفعل التعبيري (الحمد)؛ ذلك أن ((الحمد لله فهو الثناء على المحمود بجميل صفاته وأفعاله، والشكرُ الثناء عليه بإنعامه، فكلُّ شكرٍ حمدٌ وليس كلُّ حمدٍ شكراً)) (29)، وعليه، فالحمد اختص بالثناء على الله تعالى من جهة صفاته الذاتية؛ أما الشكر فيقع على نعمة خاصة؛ لذا قيل إنَّ الحمد تناول الصفات؛ أما الشكر فيأتي في مقابلة النعم التي يوليها الله تعالى لعباده.

(25) فاطر: 28.

(26) المفردات: 268.

(27) النحل: 114.

(28) سبأ : 13.

(29) النكت والعيون: 53/1.

وفعل الشكر يؤدي بالقلب واللسان والجوارح؛ أمّا القلب فهو إظهار الشكر لله بالتحميد، وأمّا بالجوارح فهو استعمال نعم الله في طاعته والتوقّي من الاستعانة بها على معصيته، والشكر باللسان: إظهار الرضى عن الله تعالى، وهو مأمور به (30)، وهذا ما يؤكده أسلوب الخطاب في قصة النبي سليمان عليه السلام بما أنعم الله عليه منطوق الطير، وإعطائه من كل شيء، ثم مشهد موكبه من الجن والإنس والطيور، وتحذير نملة لقومها من هذا الموكب، وإدراكه لمقالة النملة فضحك من قولها، وفي الوقت نفسه عظم نعمة الله عليه، وشكر ربه على فضله، وإدراكه أن النعمة ابتلاء، وراجياً من ربه أن يجمعه على الشكر والنجاح في هذا الابتلاء (31)، وذلك في قوله تعالى: فَتَبَسَّمْ ضَاغِبًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (32).

فلنلاحظ في هذه الآية المنكلم (سليمان) وجه خطابه لله بالفعل التعبيري الاجتماعي (أشكر) طالباً أن يوزعه لشكره على ما أنعم عليه من عطية، وما خصه به من مزية، وأن يبسر له سبيل الأعمال الصالحة، فيهيئ له من الأمر رشداً إذا توفاه مع عباده الصالحين. والفعل القضوي الإنجازي المتضمن في هذا الفعل تتكون حملته الدلالية من قوة إنجازية حرفية متمثلة في الشكر، ومحل شكره يكمن في دعاء يليق بجلال المنعم، ويناسب حال المنعم عليه، ويلانم حال شيء المنعم به.

ولما كان السياق سياق الشكر، واعتراف بفضل الله تعالى بسط القول في فعله الإنجازي، إذ أظهر ما يمكن إضماره فلم يقل: نعمتك علي؛ بل عرفها بأليه الموصول، بقوله: (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي)، ولتعظيم النعمة استعملها في البنية القضائية للفعل التعبيري (الشكر) بصيغة الفعل الماضي لإفادة التحقّق (33)، وكذلك نص على ذكر (الوالدين) مع إمكان الاستغناء عنه مراعاة لمقتضى سياق الشكر، والاعتراف بالشكر، وعمل على وفق ما أمره الله به من الشريعة والأحكام، بقوله: (وأن أعمل صالحاً ترضاه)، وهو أيضاً نعمة من نعم الله يدعو بها المرء المؤمن، وهو فضل من الله يؤتيه لمن يشكره على نعمائه، بدليل قوله تعالى: (وسيجزي الله الشاكرين) (34).

فالفعل التأثيري على وفق المعطى التداولي يكون إيجابياً؛ لأن سليمان عليه السلام هو الشاكر، ويدعو ربه أن يرزقه من الأعمال الصالحات، ويوفقه إلى كل عمل صالح وخير يرضى به عنه ربه، مشيراً إلى أن تحقيق الصلاح والخير ودخول الجنة لا يكون إلا برحمة الله تعالى له، بقوله: (وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين)، فشكر النعم

(30) ينظر: المفردات: 268، والتعريفات: 119-120.

(31) ينظر: في ظلال القرآن: 2632/19/5.

(32) النمل: 19.

(33) ينظر: الإعجاز البلاغي في القصة القرآنية: 219.

(34) آل عمران: 144.

والعمل الصالح مهما بلغ لا يرقى إلى قدر ما يستحقه من المنعم تعالى، وبدون رحمة الله ولطفه لن يدخل أحد الجنة بعمله⁽³⁵⁾، وإذا أمعنا النظر إلى البسط الكمي لشكر سليمان عليه السلام من وجهة قوانين الخطاب نجده قد راعى قاعدة الكم من قواعد مبدأ التعاون.

ونلاحظ أن هذا الشكر والامتنان ممتزجاً بانفعال الفرح والسرور بمقصدية غير مباشرة، وذلك مبيّناً في ملامح سليمان عليه السلام بعظم ما أنعم عليه، وما آتاه إياه، ومنه قوة إدراكه وسمعه لما همست النملة لقومها، وإحاطته تماماً لما همست وتكلمت به بكل وضوح، وكله تركية له ولجنوده، وهذا الانفعال النفسي يصاحب السلوك الحركي الذي يرتبط به في علاقة تفاعلية سببية، وذلك في قوله تعالى: **(فتبسم ضاحكا من قولها)**؛ لأن الضحك والابتسامة مظهر من مظاهر فرحة النفوس، ولما كان التبسم قد يكون للاستهزاء أو الغضب، أوضح ذلك بالحال المبينة **(ضاحكا)**؛ لإشعار أن التبسم هو على سبيل الضحك لا غيره دفعاً للتوهم بطريق الاحتراس⁽³⁶⁾، وهذه غاية الدقة في التعبير، فلم يقل: تبسم فقط، أو ضحك تبسماً؛ لأن التبسم يسبق الضحك، وهذا يعد غاية في الإعجاز البياني⁽³⁷⁾؛ لأن **(القرآن يهتم دوماً في تعبيره بما هو أهل في المعنى، وألصق بالنفوس وأكثر تحريكاً بالذهن، وذلك لتأخذ العبارة منفذها إلى النفس)**⁽³⁸⁾.

وهذه العلاقة التفاعلية نوه إليها الفلاسفة منهم الفيلسوف ديكارت (Descartes) ضمن نظرية التفاعل المتبادل / *interacionism* الوثيقة على أنها توجد علاقة بين الانفعالات النفسية الباطنية الشعورية والتغيرات الفسيولوجية في الجسم، فالانفعالات النفسية تؤدي إلى إحداث تغييرات معينة في الجسم، كما أن بعض التغيرات الفسيولوجية في الجسم تكون علة لإحداث الانفعالات النفسية⁽³⁹⁾، فضلاً عن ذلك تزيد جمالية الحركة النفسية في الخطاب قدرتها على تلوين النص بالحيوية، والسياق بالديناميكية والمواقف بالفاعلية، وهذا ما يجعل القارئ أكثر تجاوباً وأشد تجاذباً مع النص، ومن ثم عدها بعضهم **(أجمل ما في التصوير)**⁽⁴⁰⁾.

وهذا الفعل الإنجازي **(يشي بنعمة الله التي مست قلب سليمان (عليه السلام) في تلك اللحظة ويصور نوع تأثره، وقوة توجهه، وارتعاشة وجدانه، وهو يستعشر فضل الله الجزيل، ويتمثل يد الله عليه وعلى والديه، ويحس مس**

⁽³⁵⁾ ينظر: الإعجاز القرآني البياني: 307.

⁽³⁶⁾ ينظر: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني: 46.

⁽³⁷⁾ ينظر: الإعجاز القرآني البياني: 305.

⁽³⁸⁾ الإعجاز الفني في القرآن: 109.

⁽³⁹⁾ ينظر: في النفس والجسد بحث في الفلسفة المعاصرة: 184-185.

⁽⁴⁰⁾ الصورة الفنية معياراً نقدياً: 130.

النعمة والرحمة في ارتياح وابتهاال⁽⁴¹⁾، فضلاً عن ذلك أن هذا التعبير الإنجازي الذي استدعته مظاهر الانفعالات النفسية لسليمان مؤدي الوظيفة التأثيرية في الإنسان بهيئة غير مباشرة، وذلك في الاقتداء بسليمان في شكره لله على ما أوتيته من العلم والفضل والنبوة والملك واعترافاً منه بنعم الله الجليلة عليه، والتأسي كذلك في صفات سليمان الحميدة، التي تتجلى في تقواه ورحمته وعدله، وعدم طغيانه تجاه ربه الذي أدام بهذا الشكر و الحمد التواصل التخاطبي.

- الترحيب

يعدُّ نوع من أنواع الأفعال التعبيرية الاجتماعية، وهو المطلوب في حياة كل إنسان إذ لا يستطيع الفرد أن يستغني عنه؛ لأجل التفاعل والتواصل مع الآخرين وتنشئة العلاقات الاجتماعية؛ لأنه محك التفاعل والديناميكية التي تؤدي إلى التجانس، والتقارب، والتجاذب، والتبادل الحقيقي بين الاحتياجات والاهتمامات عند الآخرين، وهو في الأصل من الأفعال السلوكية التي يجب توافرها عند الفرد ليستطيع التفاعل الاجتماعي مع الآخرين بالوسائل اللفظية، وغير اللفظية للإفصاح عن الذات وفقاً لمعايير المجتمع.

فاختار الله تعالى لأمة الإسلام أعظم ترحيب؛ إنه (السلام) الذي هو تحية آدم وذريته، وتحية أهل الجنة في الجنة، وتحية الملائكة لأهل الجنة؛ بل هي تحية الأحياء والأموات، والسلام . هو الفعل التعبيري الاجتماعي للترحيب الرسمي في الإسلام . يعني في الواقع الدعاء وطلب الأمان والسلامة للمخاطب⁽⁴²⁾، من هنا قرُن لفظ السلام مع كلمات تتضمن الأمان في بعض مواضع القرآن الكريم، كقوله تعالى: هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۗ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ⁽⁴³⁾. بناء على ذلك فإن أول ما يكون محبذاً وطيباً عند اللقاء بين بني الإنسان، وتعاملهم هو رفع هذا القلق والاضطراب؛ لكي يشعر الإنسان بالسكينة، ويطمئن بعدم إضرار ذلك الشخص به ولا يهدده خطر، والفعل الإنجازي (السلام) يحقق ذلك.

كما ورد في قصة مَرِّ الملائكة على دار النبي إبراهيم عليه السلام في صورة ضيوف فأسرع لإكرامهم؛ لكن أيديهم لم تمتد إلى طعامه، فأوجس منهم خيفة، فطمأنوه، وبشروه بغلام عليم، ثم أخبروه بذهابهم إلى قوم لوط لإنزال العذاب عليهم، وذلك في قوله تعالى: إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا قَوْمٌ مُنْكَرُونَ⁽⁴⁴⁾.

(41) في ظلال القرآن: 5/19/2637.

(42) ينظر: بدائع الفوائد: 2/354-355، 361، 366.

(43) الحشر: 23.

(44) النزيات: 25.

هذه الآية تعرض الحوار الذي بدأه الملائكة مع إبراهيم عليه السلام بتوجيه التحية إليه بالفعل التعبيري الاجتماعي (فقالوا سلاماً)، وهو فعل قضوي إنجازي تتشكل بنيته القضوية من التركيب الفعلي، فالمقصد التداولي لإنجاز الفعل القولي (سلاماً) كان تفهيم المخاطب الذي هو إبراهيم عليه السلام بأننا نريد الأمان لك وندعو الله لك بالسلامة ودفع الأضرار والأخطار عنك؛ لأنه بهذا الفعل المشرب بالدعاء، كأنهم قصدوا بهذا الإنجاز سلاماً من الله عليك؛ إذ كل إنسان بفطرته يشعر بألوان القلق والخوف والاضطراب، عند تعامله مع أي شخص غريب ظناً منه أنه يضره، لذا الملائكة حيوه بالسلام ليطمئنوه بأنهم لا يقصدون شراً، وإن اختلفوا في مظهرهم من أهل بلاده، فهم ضيوف مسالمون، وهذا الفعل التعبيري الاجتماعي ينسجم مع الواقع النفسي الذي يعيشه إبراهيم عليه السلام؛ إذ ((من الطبيعي أن يُراعى في الكلام نفسية المخاطب ومستوى إدراكه، وظروف الخطاب حتى يستطيع الكلام أن يؤدي دوره المطلوب في التأثير، وإثارة الانفعال اللازم؛ لاتخاذ الموقف المناسب من التجربة الشعورية))⁽⁴⁵⁾، بناء على ذلك فإن أول ما ينبغي رعايته بين المتخاطبين عند بداية اللقاء هو منح الأمان والسكينة للطرف الآخر، والمخاطب كي يطمئن بأن لا ضرر ينتج إليه من طرفه المقابل.

واستعمال هذا الفعل التعبيري الاجتماعي حقق التفاعل الإيجابي بين الطرفين المقابل للحوار، ويظهر ذلك في إحداث الفعل التأثري في إبراهيم عليه السلام، وبهذا استجاب لهذا الفعل الإنجازي برد التحية عليهم بالفعل التعبيري الاجتماعي (سلاماً) الذي هو فعل قضوي إنجازي متمثل في التركيب الاسمي المكون من محمول الاسم (سلاماً)، وموضوعه الخبر المحذوف (عليكم) إحالة إلى الملائكة، وسوغ الابتداء به أن تتكبره لإضفاء الكمال والتمام، أي: سلام كامل تام عليكم، وأكثر ما يستعمل سلام عليكم بغير (ال)، وذلك لأنه في معنى الدعاء، كقولهم: خير بين يديك⁽⁴⁶⁾، فهو رحبهم بالسلام الشامل الثابت الدائم فيكون قد حياهم بخير من تحيتهم؛ وذلك أن ((إبراهيم عليه السلام أراد أن يرد عليهم بالأحسن فأتى بالجملة الاسمية؛ فإنها أدل على الدوام والاستمرار))⁽⁴⁷⁾، وعليه، فإن هذا الفعل الإنجازي تتجسد حملته الدلالية في قوة إنجازية حرفية تتمثل في الترحيب بالملائكة، وما يترتب على ذلك السلام من إبداء احترام، ودعاء في الوقت نفسه.

(45) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية:76.

(46) ينظر: التفسير الكبير: 20/18.

(47) م.ن: 182/28.

وهكذا أدى هذا الفعل التعبيري الاجتماعي التواصل الاجتماعي بمقصدية غير مباشرة، من حيث إنه إرشاد للقادمين بإلقاء التحية والسلام، وتعليم للمستقبلين برد التحية بأحسن منها، كما قال: وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا⁽⁴⁸⁾.

نتائج البحث

لقد توصل هذا البحث في أثناء معالجته للأفعال الكلامية التعبيرية الاجتماعية في خضم القصص القرآني إلى هذه النتائج:

- إن اللغة ليست وسيلة للإخبار أو الاتصال أو تعبيراً عن الفكر، بقدر ما هي مؤسسة تعمل على صهر هذه الظاهرة البشرية وإعادة صياغتها بشكل خاص تنتج عنها أفعال تعمل على التأثير وتغيير السلوك، وإن كانت العملية اللسانية في حد ذاتها هي إخبار ونقل للمعلومات فهي أفعال خاضعة لمجموعة من الضوابط تعمل على تغيير موقف المتلقي وتعديل وضعيته من خلال استهداف أفكاره ومعتقداته بسبب ما تتضمنه من قوة إنجازية.
- إن الأفعال الكلامية عموماً تعد مبحثاً أساسياً لدراسة مقاصد المتكلم ونواياه، فالقصد يحدد الغرض من أي فعل كلامي، كما يحدد هدف المتكلم من وراء سلسلة الأفعال الكلامية التي يتلفظ بها، وهذا يساعد المتلقي على إدراك ما أرسل إليه، ومن ثمَّ يصبح توفر القصد والنية مطلباً أساسياً وشروطاً من شروط نجاح الفعل الكلامي الذي يجب أن يكون متحققاً ودالاً على معنى.
- إن الأفعال التعبيرية بشكل عام، وفي سياق القصص القرآني بشكل خاص تدل على وجود أثر خارجي يؤثر في شخص المتكلم فتكون لديه حالة نفسية أو اجتماعية معينة تشكل تأثيراً داخلياً وجدانياً يدفع المتكلم إلى التعبير عن مكوناته الذاتية- وهذا ما كان جلياً في حمد النبي إبراهيم عليه السلام، وشكر النبي سليمان عليه السلام، وتحية الملائكة للنبي إبراهيم عليه السلام وترحيبه لهم - كاستجابة ورد فعل على الأثر الخارجي والداخلي المزوج أو ما سماه أصحاب المدرسة السلوكية بوجود أثر واستجابة في حالة إنتاج الفعل الكلامي، ويمكن القول إن تعامل الأفراد ضمن البناء الاجتماعي يمكن تحليله على أنه عبارة عن شبكة متداخلة من الأفعال الكلامية ومن الآثار الطبيعية والنفسية والاجتماعية المتأثرة بها والمؤثرة فيها.
- تعبر الأفعال التعبيرية الاجتماعية عموماً عن الحالات النفسية والمشاعر والأحاسيس، وقد أدت هذه الأفعال الاجتماعية تلك الوظيفة التعبيرية في القصص القرآني التي بينت المكونات النفسية والانفعالية والاجتماعية من

(48) النساء: 86.

خلال الخطابات والمحاورات التي جرت على ألسنة الأنبياء أو الأ أقوام السابقة ،مما أدى إلى إعانة المتكلمين على التنفيس عن ضغوطاتهم الداخلية للشعور بالراحة النفسية بإبانتهم عن استجاباتهم الداخلية للمؤثر الدافع بهم إلى هذا التعبير، واكتشف البحث وجود علاقة متلازمة تأثيرية وتأثرية بين الذات و مكوناتها من جهة ،والموقف الخارجي من جهة أخرى ،لأنه يشكل عنصراً مؤثراً لتحريك انفعال المتكلم والتأثير في خلجاته النفسية ، ووضّح البحث أيضاً، أن الانفعالات النفسية تؤدي إلى إحداث تغييرات معينة في الجسم، مما يخلق جمالية للحركة النفسية والاجتماعية في الخطاب ويُلوّن النص بالحيوية، والسياق بالديناميكية والمواقف بالفاعلية، وهذا ما يجعل القارئ أكثر تجاوباً وأشدّ تجاذباً مع النص، ولاسيما نصوص القصص القرآني.

- استنبط من هذه الدراسة أن الفعل التأثيري الذي يصاحب كل فعل كلامي منجز قد يتحقق في السياق القرآني بأثر عملي يبدو في الجانب الواقعي في حياة الأنبياء أو أقوامهم، وذلك بأن يكون رد الله على تلك الأفعال التعبيرية الصادرة منهم إدامة نعمه عليهم في الدنيا أو فوزهم بالجنة جزائهم في الآخرة بأحسن جزاء، أو يهدف التعبير القرآني إلى تفعيل هذا الفعل التأثيري عند العباد جميعاً باتعاضهم بهؤلاء الأنبياء وانتهاج نهجهم في جميع تعاملاتهم الاجتماعية وأنماط سلوكهم وما يواكبها من مشاعر الارتياح والرضى والطمأنينة بسلك مسلك الأنبياء والتاثر بهم

المصادر و المراجع

أولاً: الكتب العربية

- الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، أ.د.نادية رمضان النجار، ط1، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2013م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود محمد بن محمد العمادي (ت951هـ)، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1994م .
- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د.مجيد عبد المجيد ناجي، ط1، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر، بيروت، 1984م.
- الإعجاز البلاغي في القصة القرآنية، د.عدنان مهدي الدليمي، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2012م.

- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق- دراسة قرآنية لغوية وبيانية، د.عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء)، ط3، دار المعارف، المغرب، 1984م.
- الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلامي، د.ط، مؤسسات عبدالكريم بن عبدالله، تونس، 1980م.
- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية(ت751هـ)، تحقيق وتعليق: سيد عمران وعامر صلاح، د.ط، دار الحديث، القاهرة، 2006م.
- التحرير والتنوير، سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، د.ط، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م .
- تداوليات الخطاب السياسي، أنورالدين اجعيط، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2012م .
- التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشية، تعريب: صابر الحباشة، وعبدالرزاق الجماعي، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2012م.
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني(ت816هـ)، تحقيق: عادل أنور خضر، ط1، دار المعرفة، بيروت، 2007م.
- التفسيرالكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي (ت606هـ)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م .
- تقابلات النص وبلاغة الخطاب نحو تأويل تقابلي، محمد بازي، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن خالد الطبري (ت531هـ)، د.ط، دار الفكر، بيروت، 1405هـ .
- جواهر القرآن ودرره، أبو حامد الغزالي(ت505هـ)، ط5، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1983م.
- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، أ.د.سامية الدريدي، ط2، عالم الكتب الحديث، إربد، 2011م .

- دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، د.محمد ياس خضر الدوري، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت 2006م.
- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة: د.كمال محمد بشر، ط1، مكتبة الشباب للنشر، 1986.
- الصورة الفنية معياراً نقدياً منحى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير، د. عبد الإله الصائغ، د.ط، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987م.
- علم الدلالة السلوكي، ترجمة وتقديم: مجيد الماشطة، د.ط، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1986م.
- عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، د.عبدالسلام عشير، ط2، أفريقيا الشرق، المغرب، 2012م.
- *في ظلال القرآن، سيد قطب (ت1966م) ، ط32، دار الشروق، بيروت، 2003 م .
- في النفس والجسد بحث في فلسفة المعاصرة، د.محمود فهمي زيدان، د.ط ، دارالجامعات المصرية، الإسكندرية، 1977 م .
- القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر ، وأن ريبول، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، بإشراف عزالدين المجذوب، مراجعة: خالد ميلاد، ط2، منشورات دارسيناترا، تونس، 2010م
- اللغة والفعل الكلامي والاتصال مواقف خاصة بالنظرية اللغوية في القرن العشرين، زبيبة كريم، ترجمة: أ.د. سعيد حسن بحيري، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2011 م .
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د.فاضل صالح السامرائي، د.ط، المكتبة الوطنية، بغداد، 1998م.
- مبادئ ومسارات في الدرس اللغوي الحديث - فصول مختارة، ترجمها إلى العربية: أ.د. سعيد حسن بحيري، ط1، زهراء الشرق، القاهرة، 2009م.
- المحاوره مقارنة تداولية، د. حسن بدوح، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، 2012 م .

- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ضبطه و راجعه: محمد خليل عيتاني، ط5، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، 2008م .
- نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام، جون لانكشو أوستين، ترجمة: عبدالقادر قنيني، ط2، أفريقيا الشرق، المغرب، 2008م .
- نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد هاشم الطبطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، د.ط ، الكويت، 1994م .
- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت 450 هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

ثانياً: الكتب الأجنبية

- Foundations of Illocutionary Logic, Searle,J.R and D. Vanderveken, Cambride Universtity Press,1969.
- Speech Acts , An Essay in the philosophy of Languag, Searle- .J.R., Cambride Universtity Press,1969.